المتشـــائم

بقية ما نشر فى العـــدد الماضى

كانت الساعة السادسة والربع حينما كان محمود ينتظر « الـترام » على المحطـة . . . وأقبل « الـترام » بقرقعته وضجيجه ، متباطئاً متمهلاً كأنه مدفوع إلى ذلك دفعاً . . . وصعد إليه محمود وكان يتوقع أن يراه مزحوماً بإخوانه الطلبة الذين إما أن يكون الحـظ قد خانهم كما خانه وإما أن يكونوا قد قعدوا عن أداء الواجب ، ودفعوا ثمن هذا التقصير من راحتهم ومن أعصابهم ، ولـكنه لم ير منهم أحداً ، والظاهر أنه لم يكن مهتماً لهذا الامتحان أحـد غيره ، وإنما طالعته هذه الوجوه الـكالحة المغبرة ، وجوه العمال والفلاحين وقد صـور عليها الدهر بوضوح ، معانى الشقاء والحرمان والصراع الدائر بين الحيـاة والموت ، فأحسن التصوير ؛ وحدث نفسه تُرى أنا الرجل المتعلم أسعد حالاً من هولاء المساكين ؟ » وجاء جوابه بالنفى ؛ فإنه يرى أنه كلما اتسع أفق الإنسان ، وعمق إدراكه للنفس ، وزالت الغشاوة عن الحقائق فتبدت له عارية ، كلما تعـددت مشاكله ، وزادت حيرته ، وأعيته الحلول ، فألمه والحـال هذه يختلف عن ألم الجاهل ، لأنه يتعمق فى جذور النفس ، ويجرى مع الدم ، ولا يمكن أن يزول بزوال الباعث ، بل إن الأثر يبقى طويلاً وعلى صاحبـه أن يقاسى متاعبه كل هذه المدة . . . وغير هذا ألم الجاهل ، فهو ألم سطحى أو ألم جثمانى فى الغالب وبامكان صاحبـه أن يتخلص منه حالما يتخلص من مسببه ، وتابع سلسلة تفـكيره وهو يقول : « فهل الأفضل للإنسـان — أو بتعبير أدق — هل الأفضل للإنسانية أن يكون الإنسان جاهلاً سعيداً — والسعادة هنا نسبية طبعاً — أم أن يكون متعلماً شقياً ؟ . فتبدى له وجهان للإجابة باعتبار نظرة الشخص نفسه للأمور ؛ فهؤلاء الذين يفضلون الراحة مع الجهل ، على العناء مع العلم إنما ينظرون إلى الأشياء نظرة فردية ، أى أن كلما يدور ببالهم هوان يحققوا لأنفسهم من المتعـة والنعيم أكبر نصيب ؛ ولا يهمهم بعد ذلك أشقى الآخرون أم سـعدوا ؛ أساير وطنهم ركب الحضـارة أم تخلف ؛ وقد يروق لهم أن يحتل وطنهم المـكان اللائق الذى يحفظ لأفراده الاحترام والاستقلال ، ولـكن على شرط أن يكون ذلك على أيدى غيرهم ، فإنهم غير مستعدين بأن يضحوا أبداً برفاهيتهم ورغدهم فى سبيل الوطن وأبناء الوطن ؛ وأما الفريق الآخر فإن نظرتهم إلى الأشـياء نظرة عامة ، أو على الأرجح نظرة وطنية وإنسانية فى آن واحد . إنهم فرضوا على أنفسهم أن يقاسوا الهموم ويرهقوا الأعصاب ، لا لأنهم فى غنى عن الراحـة والطمأنينة ، ولـكن لأنهم يشـعرون فى قرارة أنفسهم بأن واجبهم نحو الوطن أولاً ونحو الإنسانية ثانياً هو الذى يرغمهم على السير فى هذا الطريق الوعر ، والمسئول الوحيـد عن هذه الفوضى التى تسود العالم هى « المدنيـــة »

وهى من صنع الإنسان ، فبسببها يجب على الأفراد أن يخوضوا فى غمار المتاعب ليسايروا ركبها ، والويل للأمة التى يتخلف أفرادها عن الركب ؛ فهناك الذل ؛ والعبودية والخنوع ؛ وكان ولو خُير الإنسان — أو محمود على الأقل — بين هذه الحياة التى يحياها بشرورها ومشاكلها ، وبين حياة البداوة والبساطة والطبيعة ، لما تردد فى أن يختار الحياة الثانية ، ولكنها — لا يدرى كيف — إلى هذا الخاطر « وما رأيك فى أغنياء مواطنيك ؟ ومن أى فريق ، وأشفق على نفسه من هذا التفكير ، وخلصته زمارة (الكمسارى) من

الإنسان وهو منجرف بهذا التيار ، يشقى وهو يحسب أنه يسعى إلى السعادة ، ويتأخر وهو يشعر بأنه يتقدم ، أو أنه يوهم نفسه بهذا التقدم ، فكأن المدنية إذن شر لا بد منه ، المدنية أو الإنسانية أو الوطنية هى التى تربطه بحبلها ، وترغمه على أن يعيش العيشة التى يجب أن يعيشها ، لا العيشة التى يرتضيها لنفسه . وعند ماوصل إلى هذا الحد من التفكير ، التفت ذهنه هذا الإشفاق ، فأفاق وأطل من « الترامواى » فأدرك أنه لم يبق إلا محطة أو محطتان يصل بعدها « ميدان السيدة » . وسره أنه شغل نفسه بهذا التفكير دون شىء آخر

سواه ، ونظر إلى الساعة فإذا عقرباها يشيران إلى السابعة إلا ربعا فأمامه ساعة وربع قبل أن يبتدىء الامتحان ، وقرر أن يجلس فى أحد المقاهى حتى يقترب الحين ، وطلب فنجاناً من القهوة ولم يحاول أن يركز اهتمامه فى شىء معين ، والظاهر أن رأسه قد اكتفى ولم يعد فى طوقه أن يحتمل أكثر مما احتمل ، وإلا انفجر ، واكتفى بالنظر إلى الغادين والرائحين دون أن يكلف نفسه عناء التفكير فى شىء ولكن القلق مع ذلك لم يفارقه لحظة من اللحظات ، وكان ينظر إلى الساعة من حين إلى حين ولما بقى على الموعد نصف ساعة صفق للخادم ودفع له الحساب وتوجه إلى المدرسة التى سيمتحن بها مسترشداً بتوجيه صديق له فلم يكن قد حضر هذه المدرسة قبل هذه المرة . يتابع سكة « الترام » محطتين يمشى بعدهما قليلاً فيجد على يمينه زقاقاً يدخله ويمشى فيه حتى يصل إلى نهايته ، فيفضى به ذلك إلى شارع آخر موازٍ للشارع الأول ، ويتخذ فيه طريقه جهة اليمين ، ويمشى بضع خطوات فيلقى المدرسة أمامه ؛ وعندما وصل محمود إلى هذا الحد لم يجد لهذه المدرسة أثراً ، لا بد أن هناك خطأ إذن ، إما أنه لم يتبع التعليمات كما يجب ، وإما أن صاحبه لم يصف له الطريق كما يجب أيضاً . . . واضطر إلى أن يعود أدراجه ليطمئن إلى أنه لم يرتكب خطأً ، وإن كان يتمنى فى قرارة نفسه أن يكون هو صاحب الخطأ . ووصل إلى الشارع العام ، وعدّ محطةً ومحطتين ، فلم يجد على يمينه شارعاً آخر غير هذا الزقاق الذى عاد منه قبل لحظة . إذن فالخطأ من صاحبه ، إنه لم يتحر الدقة فى وصفه ، وسأل أحد المارة فأخذ يقول له كلاماً طويلاً عريضاً قد يكلفه نصف ساعة قبل أن يصل إلى وجهته . نصف ساعة ؟ . . فكم هى الساعة الآن ؟ . . ونظر إلى ساعته فإذا بها تشير إلى الثامنة إلا عشر دقائق . . . يا لله . . . إنه لم يبق إلا عشر دقائق على الامتحان ؛ وارتج عليه ، وشعر بأن الدم أخذ يتدفق إلى وجهه حاراً ساخناً ، وأن دقات قلبه أخذت تسرع كأنها تنبئه بقدوم مصيبته . يارب . . . ماذا يمكن أن يفعل الآن ؟ ماذا يمكن أن يفعل ؟ أليس من خلاص من هذه الحيرة ؟ . . . أممكن أن يذهب مجهود عام كامل هكذا أدراج الرياح ؟ . . ولمح وهو فى هذا الموقف الحرج سيارة أجرة فلمحت فى ذهنه فكرة وجرى إليها وهو يصيح . . « تاكسى . . . تاكسى » .

ووقف السائق . .

أى خدمة ؟ . . .

وقال له وهو يسرع فى الدخول .

مدرسة الشيخ صالح . . . لابد أن تعرفها ؟ .

— بالتأكيد .

— أسرع من فضلك . . . أسرع وإلا فاتنى الامتحان . . . وتحركت السيارة . . . ودخلت فى شارع وخرجت من شارع ، ولفّت فى زقاق ، وانعطفت إلى زقاق آخر ، فلم يكن بالحالة الطبيعية التى تسمح له بأن يلاحظ كل هذا ، ووقفت أخيراً وقال له السائق وهو يشير إلى باب كبير قديم كتب عليه بخط سقيم (بالطباشير) مدرسة الشيخ صالح . ودفع له الأجر ، ودلف إلى المدرسة ، ووصل الفصل الذى سيمتحن فيه بعد أن اطلع على رقم جلوسه ، فألفى الطلاب قد انتظموا فى مقاعدهم ، وجلس هو فى مقعده ، وأحس بعبء ثقيل ينزاح عن كاهله ، فتنفس الصعداء وعاوده الهدوء ، وراح يجفف عن وجهه العرق المتصبب وكان قد بقى على توزيع الأسئلة خمس دقائق فشغل نفسه بكتابة الاسم ؛ المادة الممتحن بها ؛ رقم الجلوس ؛ التاريخ ؛ على ظهر ورقة الإجابة ؛ ومر فى هذا الأثناء أحد المشرفين وهو يتفقد أوراق الطلبة ، خشية الأخطاء ، ولما وصله

توقف وهو يتأمل فى ورقته . . . ولاحظ محمود أن الدهشة كانت ترتسم على وجهه وقال له أخيراً .

— أعندك ملحق فى درس الجغرافيا ؟ . . .

— نعم . . . ولمَ ؟ . . .

— لقد كان أمس هو موعد الجغرافيا . . .

— ها ! ! !

خرجت من فيه عاليةً مقرقعةً دون أن يشعر من هول الصدمة ، وشعر بأن قلبه يهبط إلى قدميه ، واختلطت فى عينيه المناظر ، فقام من مكانه وخرج وهو يتعثر فى مشيته ، ويكاد أن يصطدم بالجدران ، والناس غير ملتفتٍ إلى نظرات الرثاء التى كان يشيعه بها المشرفون والطلاب . . يا للمسكين . . .

على زكريا الأنصارى

حول مقال الكويت والسينما

(بقية المنشور على صفحة ٣٢)

الأفلام والتفاخر بمشاهدتها . . . وتقول أيضا فى ختام كلامك : « إننى أحل « السينما » لنفسى وأحرمها على الغير . . . » فزعمك يا صاح هذا ليس على جانب من الصواب والصحة ! ! فهل حرمت السينما عليك أو على غيرك من الزملاء ؟ . ومن قال لك تتقيد بفكرتى الخاطئة — كما ترى — وما لى إلا أن أهنئك على هذه المعلومات السينمائية الشيقة التى حُرمت أنا منها .

وختاماً يجدر بى أن أقول : إن الأفراد يختلفون فى ميولهم ، وأهوائهم ، ومشاربهم ، لكنهم يصلون فى النهاية إلى هدف أجل ، وغرض أسمى ، ألا وهو خدمة الوطن العزيز .

عبد الله السيد عبد المحسن

ابليس قال لى . . .

(بقية المنشور على صفحة ١١)

كنتم خير أمة أخرجت للناس ؟

أليس فيكم من يكسب الحياة هانئة على جثث الآخرين يبنى قصره على جماجم القتلى وأشلاء الضعفاء ؟

أليس فيكم من يمتهن الكرامة لكى يقال بأن فلاناً هذا رجل الدنيا وواحدها ؟

أليس فيكم من وطِئَتْ رأسه وذَلَّتْ نفسه فرضى بالصَّغار وهو كريم ؟

أليس فيكم من إذا دعا الداعى إلى خير العمل تقاعس وجبن ، و إذا ما دُعِىَ إلى الفساد والإفساد كان أول الملبين ؟

أليس فيكم من يدعى العلم وهو أجهل الجاهلين ، وأكرم على نفسه وأمته من أن يقول خيراً أو يسكت ؟

أليس فيكم من إذا ولى أمراً صار لصاً ، وأولى به أن يكون خير الأمناء ؟

أليس فيكم من يتدثر بثوب الفضيلة ، فإذا هبت هوجها شفت عما تحتها من سوء ؟

أليس فيكم من يقول و يقرر قبل أن يحكم العقل فإذا ما حزب الأمر كان على خطىء وخطيئة ؟

(وتوقف إبليس وهو ينظر إلى) وقال : ألم أقل لك إنكم أصبحتم أباليس وشياطين . . وسكت :

قلت : (فى همس) والله إن كل هذا فينا .. ثم أردفت .. أعندك ما تقوله ؟

قال : عندى الطامة الكبرى .. عندى ماهو أدهى وأمر .

أليس فيكم من لا يتقى الله فى حق الوطن وأمته وفى شريعتكم حب الوطن من الإيمان .

قلت : إى والله ... إنى لأكاد أصدقك أيها الشيطان .. إنى لأكاد أصدقك أيها الشيطان .

مكتبة الطلبـــة

أطلب منهـا يومياً

جريدة الزمان العراقية

وشهرياً

(الـكتاب) والأديب

وجريدة كل شيء اللبنانية

كل يوم اثنين

ومجلة الاتحاد النسائي العراقي

ومختلف الكتب

العربية والأفرنجية

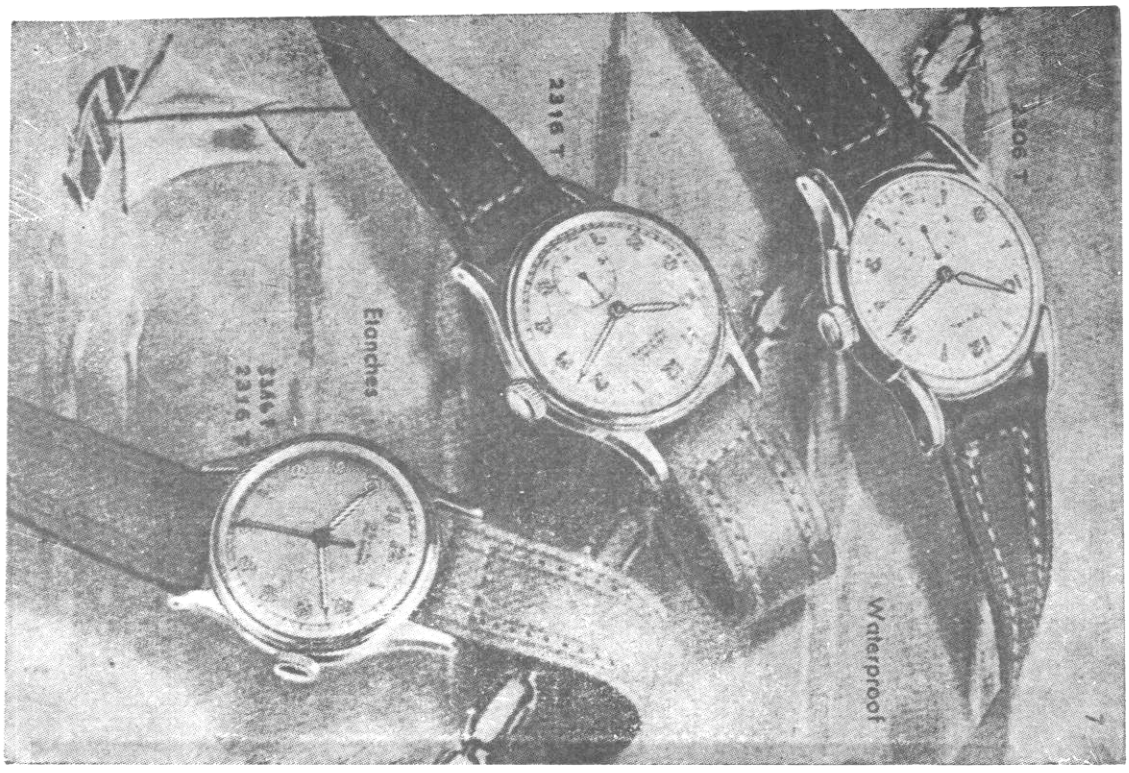

تجدون أنواع الساعات بمحل محمد عبد الله شهاب
الشارع الجديد — الكويت